الحرف اليدوية في مواجهة السلع المستوردة دراسة سوسيو انثروبولوجيا في سوق الموصل

م. فائز محمد داؤد*
م.م منى شاكر محمد**

تاريخ التقديم: 2010/5/17
تاريخ القبول: 2010/6/9

المقدمة

أية ظاهرة أو مشكلة بحث يمكن النظر إليها من أكثر من زاوية، وقد يتمسك المختصون برؤاهم الخاصة ويقدمون وصفا علميا دقيقا للجزء الذي يركزون عليه وأرتا الباحثان من خلال هذه المحاولة المتواضعة النظر إلى السوق ومكوناته من نافذتين الاقتصادية والاجتماعية لنقدم صورة أخرى أو عنصراً آخر من عناصر الصورة لتكتمل ودراستنا هذه هي لمعرفة الحرف اليدوية وكيانها في سوق الموصل حيث لا أحد منا يعرف بدايات الحرف اليدوية التقليدية التي دعت لها حاجات المجتمعات فأصبحت تلك الحرف ثوابت تراثنا العريق وكنز شعوبه التي لا يمكن أن ترحل من ذاكرته مهما مرت السنون والأيام، وما شموخ الماضي إلا هو استمادة وإضاءة لحكاية الحاضر اختصر خطواتها الابتكارية الحرفي القديم وبداية خطوة الألف ميل كما هو معلوم تبدأ بخطوة، ولعل تحول الفن لمعادلة ثنائية جمعت ما هو قديم يصبح بمعالم زمان والحاضر الذي استمد من تقنية ومهارات عالية.

لقد اشتهرت الأرض العربية قديما بالصناعات اليدوية لكثرة الحرفيين بها والذين لا يزال معظمهم يمتهنها كمورد رزق له، فالصناعات التقليدية هي إحدى الدعائم الأساسية التي ترتكز عليها البيئة الاقتصادية لمئات الأسر أو ربما لآلاف الأسر رغم انحسار معظم الحرفيين وتناقصهم في الوقت الراهن علما أن أصالة

* قسم علم الاجتماع/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.
** قسم علم الاجتماع/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

الماضي وارتباطه بالحاضر وتراثه يتأتى من امتهان هذه الحرف لكثير من المجتمعات العريقة ذات الأصالة الواضحة والتي تفتخر بتراثها وتاريخها الحديث.

المبحث الأول

الإطار المنهجي

- تحديد مشكلة البحث

المهن في الأصل ذات طبيعة اقتصادية تهدف إلى الحصول على مردود مناسب يكفل مواجهة أعباء الحياة وتحتاج المهن إلى إعداد معين للأشخاص القائمين بها، ولكنها ليست متساوية في ذلك فالمردود يختلف من مهنة إلى أخرى والإعداد يختلف كما ونوعا بين المهن، فهناك مهن تحتاج إلى قوة عضلية وأخرى إلى إعداد معرفي وثالثة إلى رأسمال فضلا عن أن هذه المهن تتحكم بها معايير اجتماعية وأن هذه المهن أو الصناعات الشعبية كما تسمى ما هي إلا دليل واضح وملموس على أصالة ذلك البلد وعمق جذوره التاريخية، كما أن أهمية هذه المهن أو الحرف اليدوية من أنها كثيرة التنوع ومتعددة الأصناف والأشكال وكل حسب موقعه الجغرافي الذي يعيش فيه فمثلا منطقة شمال العراق حيث الجبال والمقالع الحجرية تختلف فيه هذه المهن عن أبناء الجنوب بوجود أشجار النخيل وما يمكن إنتاجه من حرف يدوية يستفاد منها وما إلى ذلك من هذه الحرف والمهن اليدوية التي أسلفنا بأنها متنوعة كتنوع مجتمع العراق إلا إننا وعلى وفق الواقع الاقتصادي الجديد الذي يعيشه العراق لم يعد الحديث عن (الإغراق) بالسلع المستوردة حديثا أكاديميا كما كان من قبل، فلقد اندثرت الكثير من الحرف الشعبية بسبب الوضع الاقتصادي الحالي فنحن ومنذ خمس سنوات تقريبا نعيش واقعا اقتصاديا مختلفا عما ألفناه، هذا الواقع أملته سياسة الاستيراد المنفلت أو ما يسمى بالاستيراد المفتوح وقد انسحبت هذه الظاهرة على مجمل السلع وبمختلف أنواعها في الأسواق المحلية ليعدها البعض سابقة لم تشهدها أي من أسواق الدول الأخرى، حتى تلك التي شهدت انتكاسات اقتصادية كبيرة، لذا يرى الباحثان أنه من الضروري دراسة مثل هذه المواضيع لما لها من أهمية بالغة في حياة أفراد المجتمع وكذلك لتكون في حساب المسؤولين للمستقبل الاقتصادي والاجتماعي في العراق .

- أهمية البحث

للبحث أهمية واضحة كون أن الحرف والمهن اليدوية تعدّ من الصناعات الأولية للبلد وهي مهمة كونها تحمل تاريخ ذلك البلد ونشأته وأن دراسة المشاكل والمعوقات التي تواجه أصحاب الحرف والمهن لابد أن نقف عندها للتعرف عليها وكذلك لمعالجتها كون أن هذه الحرف والمهن هي جزء من اقتصاد البلد ودعما له فإذا ما انتهت أو انهارت فإن اقتصاد البلد يتأثر تأثيراً مباشرا لذا يعتقد الباحثان أن مثل هذه الدراسات لها أهمية كبيرة لمعالجة هذه الأمور.

- أهداف البحث

1- وصف السوق وصفا وظيفيا.

2- التعرف على مجتمع الحرف اليدوية في المهن المختلفة بوصفه جزءا من السوق.

3- الكشف عن أهم المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي يعاني منها.

- أدوات البحث

بسبب طبيعة البحث اختار الباحثان الملاحظة والملاحظة بالمشاركة والمقابلة للحصول على البيانات حول الظواهر الجارية في السوق.

- منهج البحث

اعتمد الباحثان على المنهج السوسيوانثروبولوجي الذي يقوم على النظر بطريقة كلية وشاملة إلى تلك المراكز الاجتماعية المتمايزة التي يتوزع عليها الأشخاص من المناشط الاجتماعية المتنوعة[1] بهدف تقديم صورة وصفية وتحليلية لإفصاح جماعة الحرف اليدوية مستخدمين المقابلات ودراسة الحالة للتعمق في دراسة الظاهرة علما أن أحد الباحثين قضى شطرا من حياته في سوق الموصل ولازال يرتبط به بحكم مهنة أسرته.

- مجالات الدراسة

---

(1) موفق ويسي محمود، فائز محمد داؤد، حمالو سوق الموصل، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، العدد الخمسون،جامعة الموصل، 2008، ص 83.

المجال المكاني:- الأجزاء الرئيسة من سوق الموصل وتشمل باب السراي، باب الجسر، شارع النجفي، سوق الصغير، السرجخانة.

المجال البشري:- العاملون في هذه المهن في السوق

المجال الزماني:- استغرق البحث الميداني المدة من 15/ 9 /2009 ولغاية 20/ 12، 2009.

المبحث الثاني

التعريف بالمفاهيم والمصطلحات

1 - الحرفة: هي عمل يقوم بها الحرفي لحسابه الخاص شريطة أن يثبت كفاءته واختصاصه في ذلك العمل.[2]

التعريف الإجرائي: وهي مهنة أو عمل يقوم به شخص ما ويعمل فيه من أجل إثبات كفاءته أو صناعته لتلك الحرفة أو المهنة التي يعمل فيها.

2 - السلعة: كل ما له ثمن في السوق وله قيمة اقتصادية وكل ما له مال اقتصادي وعلى ذلك فإن كل " سلعة " مال اقتصادي وليس كل مال اقتصادي "سلعة"[3].

3 - المستورد: هو كل ما يشترى من سلع وخدمات وإدخالها إلى السوق الوطنية[4].

(2) بشير محمد عليه، القاموس الاقتصادي، المؤسسة العربية للدراسات، 1985، ص38.
(3) إبراهيم مدكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975، ص236.
(4) بشير محمد عليه، مصدر سابق، ص40.

الدراسات السابقة

نشير هنا إلى أحدى الدراسات التي تناولت دراسة السوق وهي:-

دراسة شفيق إبراهيم صالح الموسومة (الأسواق الشعبية في مدينة كركوك)

اعتمدت هذه الدراسة على الوصف كونها كانت دراسة انثربولوجية ركزت على الجوانب الثقافية ومحاولة تقصي أبعادها في علاقات السوق وتفاعله خاصة وأن مكان البحث كانت مدينة كركوك المتعددة الأعراق والثقافات وقد استخدم الباحث عدة مناهج ومنها المنهج الانثربولوجي وكذلك المنهج الاثنوغرافي والتاريخي والمنهج المقارن فضلاً عن استخدامه للملاحظة بالمشاركة، والمخبرين، والمقابلات كأدوات للبحث، وقد توصل الباحث من خلال دراسته هذه إلى عدة استنتاجات منها

- تفاوت سلوك الباعة بتفاوت ثقافة المستهلكين.
- إن أنواع الأسواق الشعبية أظهرت أنماط التفاعل الاجتماعي _ الاقتصادي الإيجابي والمعتدل والسلبي منه.
- عملت الوظيفة الاجتماعية للأسواق الشعبية على عدم جعل حياتها الاقتصادية تكتسب طابعا اقتصاديا صرفا.
- إن للأسواق الشعبية حياتها الاجتماعية المتمثلة بمشخصاتها، كما أن لها قيمتها ذات الطابع المهني.
- اتخذ السوق الطابع التجاري، والطابع الشخصي الناتج عن تضافر عوامل داخلية متعلقة بالشخص المتسوق سواء أكانت مادية أم معنوية، وعوامل خارجية تمثلت بالجماعة المرجعية والمحيط الاجتماعي.
- كانت الصناعات الحرفية في مدينة كركوك امتدادات للأصناف الإسلامية مما عزز قيمتها الذاتية لدى أبناء المدينة.
- شكلت الحرف منها وراثية لها إسرارها الفنية والمهنية، وهي تمر بمراحل غير محددة بفترة زمنية وإنما يتم الانتقال فيها من مرحلة إلى أخرى اعتمادا على مدى سرعة تقبل الحرفي لهذه العوامل.

- شكلت المنتجات الحرفية بدائل للمنتجات الصناعية التي منع دخولها إلى العراق نتيجة للحصار الجائر.
- أما العلاقات الحرفية فقد امتازت بالضيق لأسباب متعلقة بطبيعة عمل الحرف من ناحية وطبيعة المنتجات الحرفية من ناحية أخرى.
- وأخيرا فقد كشفت الدراسة عن وجود بعض الشبه ما بينها وبين دراستنا وخاصة ما يتعلق بتداخل الحياة الاجتماعية بالسلوك الاقتصادي كون أن دراستنا استخدمت المنهج السوسيوانثربولوجي بهدف تقديم صورة وصفية تحليلية لإفصاح جماعة الحرف اليدوية مستخدمين المقابلات ودراسة الحالة للتعمق في دراسة الظاهرة[5].

المبحث الثالث

قبل الحديث عن المهن والحرف اليدوية والشعبية لابد لنا أن نعرج قليلا أو نعطي صورة عن سوق الموصل ومكوناته كون دراستنا هذه عن المهن والحرف هي من داخل السوق، يتكون سوق الموصل من عدد من الدكاكين والمحلات والتي تكون بجملتها شبكة ذات ارتباطات قوية ورصينة بعضها مع البعض الآخر بين الأزقة الضيقة وعلى مساحات واسعة من مركز مدينة الموصل القديمة، وهذه الأزقة معروفة لدى أبنائها بأسماء محدة تفصل كل منها عن الأخر تخصيصا وإن استمرت بتجاورها المكاني، وبعض هذه الأسماء ذات علاقة بالبضائع المتداولة في السوق ويسمى لدى الناس سوقا فهناك مثلا سوق الصفاري ن وسوق التكنجية وسوق الفرفوري وسوق الأحذية وسوق تخصص حديثا عن المهن والحرف اليدوية على أصحاب المهن التالية صانعي الأحذية (القوندرجي) وكذلك على الخياط خياطي الملابس الجاهزة. إن سوق الموصل من الأسواق القديمة والكثير من أصحاب المحلات والمهن ورثوها عن آبائهم واستمروا بالعمل فيها حتى إننا نجد عشرات المحلات المتجاورة يعمل فيها أشخاص عمل آباؤهم فيها متجاورين كذلك

(5) شفيق إبراهيم صالح، الأسواق الشعبية في مدينة كركوك – دراسة انثربولوجية، رسالة ماجستير، غير منشورة، بغداد،1994، ص142.

لعقود طويلة من الزمن ونخص منهم سوق (القوندرجية) في باب السراي حيث كانوا صناع الأحذية متجاورين مع بعضهم وبسبب هذه الجيرة المتحدة زمانيا وبسبب التعامل اليومي بين من يعملون في هذه المهن نشأت واستمرت علاقات اجتماعية قائمة على المعرفة الشخصية [6]، ولأن غالبية العاملين فيها هم ذو مستوى اقتصادي واجتماعي متقارب وان هذه العلاقات توثقت وامتدت إلى الأبناء الذين حلوا محل آبائهم ويمكن أن نوضح هذا النمط الشخصي من العلاقات في الأحاديث المتبادلة وفي التزاور بين عائلات هؤلاء الأشخاص بعضهم بالبعض الآخر حتى في علاقات الزواج والمصاهرة وفي الاستفسار عن الأهل والسؤال عن أفراد عائلة الجار في السوق وفي معرفتهم التفصيلية لحياة بعضهم البعض، فالسوق ليس فقط مكان للعمل والتجارة أي كجانب اقتصادي لا وإنما هو مجتمع من الناس يتفاعلون فيما بينهم وتنشأ بينهم علاقات اجتماعية وقد يكون لهذه العلاقات تأثير على الجانب الاقتصادي للسوق وهو أمر أغفله باستمرار الباحثون الاقتصاديون في حين أن المنظور الثقافي الذي يعتمده الانثروبولوجيين للسلوك الاقتصادي يضيف أبعادا غير اقتصادية للواقع الاقتصادي[7].

وهكذا يمكن النظر إلى السوق نظرة اجتماعية وانثروبولوجية فأصحاب المحلات والمهن والحرف والتجار والعاملون جميعا هم مجتمع السوق ولكن هذا المجتمع لاتنقصه الاختلافات الاقتصادية والاجتماعية فبينهم تجار جملة وباعة مفرد وأصحاب مهن بعضهم يملكون محلات والآخرون يستأجرونها وفيهم من يعمل لدى الغير كما وفيهم الأستاذ أو الأسطى ومنهم العامل أو الصانع وبعضهم يستعين بأولاده في عمله أو بأقاربه كما هناك حالات كثيرة بقي فيها العامل يعمل لدى الشخص نفسه لمدة طويلة حتى ارتبط اسمه باسم (إستاده) كل هذا له ملامح اجتماعية يعرفها أبناء السوق في أساليب المخاطبة والنداء، كما وتعدّ المعرفة

(6) موفق ويسي محمود، فائز محمد داؤد، حمالو سوق الموصل، مصدر سابق، ص7.
(7) قيس النوري، الانثروبولوجيا الاقتصادية، جامعة بغداد، بيت الحكمة، مطبعة التعليم العالي، الموصل، 1989،ص12.

الشخصية هي من قدم العمل في السوق بالنسبة للشخص أو من استمرار العمل في السوق جيلا بعد جيل بالنسبة لعائلته ولعل المعرفة الشخصية هذه من أهم مؤشرات التعامل لأن سمعة الشخص وسمعة عائلته هي في الغالب أهم من ربح الصفقة أو خسارتها وهذا أمر آخر يعمق الصلة الاجتماعية بالجانب الاقتصادي خصوصا عند أصحاب المهن في أدائهم لمهنهم فالمعارف والخبرات والمهارات التقنية والعملية لا تكفي لتنظيم السلوك المهني المقبول اجتماعيا بل لابد من اعتماد هذا السلوك على المعايير والآداب الاجتماعية المخصصة لهذه المهن [8] ومن نافل القول أن القوة الاقتصادية تؤثر في القطاع الذي تختص به وتتحكم به أصحاب الحرف والمهن، تبدأ من منافسيهم الأقل قوة نزولا إلى صغار الباعة على الأرصفة هكذا تتشكل لنا صورة السوق حيث ينقسم أفقيا إلى مجموعة من القطاعات يختص كل منها بنوع من البضاعة وعموديا ينقسم إلى كبار التجار على قمة الهرم ومن التجار الأصغر والوسطاء وباعة المفرد من أصحاب الدكاكين ولابد أن نقف هنا عند أصحاب المهن والحرف اليدوية والذي سنخص فيه حديثنا عن صانعي الأحذية (الرجالية والنسائية) وعن الخياطين وكذلك عن أصحاب (الفافون) الصفارين.

إن الحديث عن الحرفة أو المهنة في بلد ما هو دليل ملموس ومادي على أصالة ذلك البلد وعمق جذوره الحضارية، وعبر عصور مختلفة ازدهرت الصناعات الحرفية وتوارثها الأجيال عن إبائهم لكن ظهور السلع الصناعية البديلة والمستوردة في السوق العراقية بعد الطفرة الصناعية أدى إلى انقراض بعض الحرف اليدوية في العراق، في حين ظلت العديد من الأسر الحرفية تحافظ على مهنتها تحت ضغط الحاجة ولتأمين مصادر دخلها للعيش بأمان، ولكن بعد عام 2003 بدأت أسواقنا تشهد فوضى تجارية للإغراق السلعي غير المدروس وغير المسيطر عليه حيث بدأت تتدفق البضائع والسلع من أغلب المنافذ الحدودية للبلد ومن مختلف دول العالم والكثير من السلع الواردة ذات مستوى متدنٍ، كما ترد إلى

(8) المصدر نفسه، ص19.

السواق منتجات أجنبية بماركات مجهولة[9]، كما أن السلع المستوردة بصورة كبيرة أدت إلى اضمحلال الورش اليدوية وأصبحت هذه السلع منافسة للمنتوجات الوطنية بشكل كبير مما حذا بالكثير من أصحاب الورش والمعامل لصغيرة إلى غلق ورشهم ومعاملهم علما أن هذه السلع المستوردة أغلبها رديئة الصنع ولا يمكن أن تنافس المنتوجات الوطنية إلا أن رخص أسعارها جعل من المنتوجات الوطنية أن تغيب عن الأسواق لأن كلفتها باهضة الثمن قياسا بالسلع المستوردة، كما أن ظاهرة إغراق السوق بالسلع المستوردة بدأت تضر بشكل واضح بالاقتصاد الوطني والإنتاج المحلي حيث تقضي على التنافس بين السلع المحلية والأجنبية مما يؤدي إلى تراجع إنتاجنا وسيطرة البضاعة الأجنبية [10] وهذا ما حول مصانعنا ومعاملنا حتى الحكومية منها والأهلية إلى مجرد مخازن لتخزين البضائع المستوردة هذه حقيقة تحتاج إلى وقفة جدية من الجهات المعنية والمسؤولة، لقد أصبح العراق سوقا لتصريف السلع والبضائع الأجنبية وأن إغراقه بالسلع قد أثر وبشكل كبير على إضعاف الاقتصاد العراقي كما أن الحفاظ على تراثنا بدأ يتناقص قياسا مع التقدم والتطور بل أن الأمم الواعية هي التي تحافظ على موروثاتها ومكتسباتها ولانفرط فيها بأي حال من الأحوال [11] كما أن الحرف اليدوية أو الصناعات الشعبية لها أهمية تاريخية و وثقافية واجتماعية فضلا عن الأساس الاقتصادي فمن الناحية الاجتماعية يمكن اعتبار الصناعات الحرفية من الصناعات الصغيرة فهي بالتالي تساعد على الحد من البطالة بالاستفادة من الشباب ذكورا وإناثا وأداء الأعمال أحيانا في المنازل كذلك الاستفادة من كبار السن والمعوقين وهذا بالطبع يعطي وافدا ماديا آخر، أما من الناحية التاريخية فالتاريخ مليء بمسميات

(9) عباس كاظم، ظاهرة الإغراق السلعي وأثرها على الاقتصاد العراقي،، 8-9-2003 www,islamon:line net,Bakadad

(10) صبحي حداد، الحرف اليدوية العراقية ضحية الاحتلال، إسلام اوين نت، 8-9-2003 www,islamon:line net,Bakadad

(11) المصدر نفسه.

الصناعات والصناع وتعدّ أفضل وسيلة تعبير عن هوية البلد الوطنية ومن أهم وسائل الحفاظ على التراث ونظرا لغزو الصناعة الحديثة انحسرت الصناعات التقليدية وأصبح ينظر لها بأنها أما تراثا تقليدا لا يجوز المساس به أو إدماج ما يمكن دمجه في الصناعات الحديثة وإهمال الباقي حتى يندثر وبالتالي تكون هذه الصناعات قد انتهت مع أشخاصها والعاملين بها وزادت الدولة والمجتمع عبئاً ثقيلا آخر.

وكذلك نرى أن هذه المهن والحرف من الجانب الثقافي لها دور كبير كونها تشكل جزءا هاما وتاريخا عريقا لدى مختلف الشعوب والحضارات والاهتمام بها ورعايتها واجب إنساني ووطني ورسالة عميقة الأهداف يجب أن تصل بأكمل أمانة وصورة للأجيال الحالية والأجيال القادمة هذه مسؤولية كبيرة يتحمل أعباؤها المهتمون بهذا الإرث الثقافي المحلي الذي وصلت من الآباء والأجداد بكل أمانة وصدق وبعد تضحيات وجهود متراكمة عب ر أجيال تعبت من أجل إبراز الهوية الهرمية من خلال الحرف والمهن المختلفة التي كان يزاولها الآباء والأجداد اليوم وفي ظل سيطرة قوية من قبل وسائل الإعلام الأجنبية ما هو مستقبل هذه الحرف والمهن التقليدية المحلية، وماذا بإمكاننا أن نفعل بعد ضياع الكثير من أصالة هذه الحرف ونحن نرى بأعيننا رحيل معظم الحرفيين أو انزواءهم عن الأضواء بعد فقدان تلك الحرف لأهميتها ودورها الكبير الذي كانت تؤديه في السابق [12]، وعلى هذا الأساس كان لنا مقابلة بالسيد حكمت المولى صاحب معمل خياطة في باب السراي فيروي أن معمله كان يضم أحد عشر عاملا وأنه منذ الطفولة يعمل خياطا علما أنه لم يرث المهنة عن والده ولكنه منذ الصغر عمل لدى أحد الخياطين القدماء في السوق هو ولد في الصف الثاني ابتدائي واستمر في هذه المهنة ويروي لنا أن كان له معملا من ثلاثة طوابق من عمارة من عمارات شارع غازي في سوق باب السراي وكان العمل جيدا حيث يعمل لديه ولداه الاثنان وكذلك أبناء منطقته وجيرانه ويروي أنه قد علم الكثير من هؤلاء لهذه المهنة طيلة فترة عمله

(12) محمد نصر الله، الحرف اليدوية الشعبية، ستار تايمز، WWW, .2009 Startimes,com 24 -5-2009

المقدرة بأكثر من أربعين سنة وكانت العلاقات الاجتماعية بين الجميع جيدة حتى وصلت إلى المصاهرة مابين أبناء وبنات العمال الذين يعملون لديهم حيث كان كل واحد يساعد الآخر ويقف معه عند حاجته إليه وكان المردود المادي جيد كونهم يسكنون في بيوت امتلكوها من خلال عملهم في هذه المهنة، كما يروي لنا أنهم في فترة المواسم والأعياد لا يذهبون إلى دورهم لمدة عشرة أيام أو أكثر كون أن مبيتهم يكون في المعمل وذلك لزخم العمل وطلب السوق إلى بضاعتهم ويروي لنا أن علاقاتهم الاجتماعية وصلت بهم حتى إلى السفرات والذهاب إلى المتنزهات عائليا وأصبح هنالك علاقات وثقة الصلة بين هذه العوائل وكل منهم بدأ يستقطب أولاده وأقرباءه إلى هذه المهنة حتى أن الكثير من هؤلاء العمال أصبحوا (اسطوات) وانفردوا في العمل كونهم فتحوا محلات ومعامل خاصة بهم، ويروي لنا أن الأمور اختلفت بعد عام 2003 ودخول المحتل إلى بلدنا فنرى أن البضائع بدأت تتدفق من كل صوب وناحية وبدأت هذه البضائع تنافس منتوجاتنا الوطنية كونها أرخص من بضاعتنا لأن الدعم لنا قد قطع حيث كان لنا دعم من قبل الدولة باستيراد القماش والخيط وما إلى ذلك من مستلزمات الخياطة وبدأ المعمل يتقلص من أحد عشر عاملا إلى خمسة أو ستة أو أقل من ذلك وكلما تمر السنوات والأيام يكون العمل أقل وهكذا إلا أن أقفل المعمل وبقيت أدواته من مكائن وغير ذلك جانحة فيه وبالتالي جلست في داري واشتريت سيارة تاكسي لولدي ليقوم هو بتوفير لقمة العيش للبيت حتى إني بدأت كل أسبوع أو عشرة أيام أخرج من داري وأنزل إلى لسوق أذهب إلى المعمل وافتح الباب وأنظر إلى المكائن وأدوات المعمل لمدة عشرة دقائق أو أكثر ثم بعد ذلك اقفل الباب وأغادر راجعا إلى داري، كما قام الباحث بمقابلة شخص آخر يدعى أبو محمد وهو صاحب معمل صناعة الأحذية النسائية والرجالية ويروي لنا أنه كان يمتلك معملا خاصا بصناعة الأحذية في شارع خالد بن الوليد وأن المعمل كان مقسوماً لقسمين احدهما خاص بالأحذية النسائية والآخر بالأحذية الرجالية وأن معمله كان ينتج يوميا أكثر من عشرة درازن مقسومة بين النسائي والرجالي ويروي لنا أن أغلب العاملين لديه في صناعة الأحذية النسائية هم من (الكويان) أي أن أصولهم تركية ويسمون بـ (أكراد

تركيا) حيث إنهم يمتهنون هذه المهنة منذ الصغر وقد ورثوها عن آبائهم وأجدادهم حيث إن أغلبهم كان يعمل بصناعة الأحذية النسائية وكانت قبل بسيطة في شكلها وصناعتها إلى أن تطورت بالشكل الذي وصلت إليه أما بالنسبة لمجموعة العاملين بصناعة الأحذية الرجالية فهم من العراقيين وكذلك أغلبهم ورثوا هذه الصناعة عن الآباء والأجداد ويروي لنا صاحب المعمل حيث يقول كان لدي تقريبا أربعة عشر عاملا يعملون عندي فمنهم من يعمل على الدرزن بنسبة والبعض الآخر يعمل بأجر أسبوعي وكان هذا التشكيل من الطيف في العمل جميل جدا حيث فيهم الأكراد والعرب يعملون معا وكانت بضاعتنا سريعة التصريف كوننا نعمل أحذية من الدرجة الأولى وهنالك أحذية تسمى بالشعبية أغلب أهل القرى والأرياف يبحثون عنها ويتبضعون منها أما الدرجة الأولى فكانوا أهل المدينة يشترونها وكانت لنا علاقات اجتماعية متداخلة مابين مسؤول العمل أو صاحب المعمل الذي هو أنا وبين العاملين معي وعلاقات اجتماعية تفاعلية بين العاملين أنفسهم حتى أن بعضهم البعض كان قد تزوج من أقرباء أو أهل الشخص الذي يعمل معه وكان التزاور مابين هذه العوائل قائم خصوصا في أيام الجمع أو أيام الأعياد والمناسبات وكانت أمورهم المادية جيدة حتى أنهم في أيام الأعياد ينامون في المعمل ولا يذهبو ن إلى دورهم في آخر أسبوع من شهر رمضان وكان حتى فطورهم في المعمل حتى أن روح المساعدة كانت قائمة مابين الجميع فإذا احدهم كان لديه مناسبة مفرحة نبتهج جميعا ونشتري له هدية جيدة ونزوره في داره ونقدم له الهدية وكذلك في المناسبات الحزينة نقف إلى جانب ذلك الشخص الذي يعمل عندنا كان تشكيلنا في المعمل كعائلة واحدة نأكل جميعا سوية ونذهب إلى السفرات والمتنزهات جميعا وبصحبة عوائلنا إلا أننا وبعد الاحتلال الأمريكي لبلدنا تغيرت أنماط حياتنا كلها بسبب البضائع المستوردة التي دخلت إلى بلدنا دون حسابات أو دراسة وبدأت تنافس منتوجاتنا الوطنية وبدأ المعمل يضعف إنتاجه من عشرة درازن إلى ثلاثة واثنين إلا إننا في الوقت الحالي قفلنا معملنا وبدأت أدفع إيجار المعمل لمدة ثلاث سنوات دون أن أتفيد منه ليوم واحد وأخيرا اتخذت قرارا ببيع المعمل وبشكل انفرادي أي إن أثاثه وأدواته بدأت أبيعها الواحدة تلو الأخرى إلى أن تركت

المعمل وذهب كل واحد إلى عمل آخر فأنا ذهبت إلى محل والدي في باب السراي حيث يبيع الأحذية الجاهزة المستوردة وعملت فيه أما الآخرون فلم أعد أراهم إلا بعد فترات طويلة قد تجمعنا الصدفة فمنهم من يعمل مزارعا في المشاتل ومنهم من يعمل سائق تاكسي ومنهم من يعمل في مطعم، كل ذلك التشكيل والطيف من هذه المجموعة بدأ يبتعد عن الآخر ولم يروا بعضهم البعض هؤلاء إلا بالصدفة. وكان لنا حديث آخر أيضا مع صاحب معمل أحذية نسائية السيد خليل وكان لديه معمل في السرجخانة ويروي لنا الحكايات والأوصاف نفسها التي وصفها لنا سابقوه بأنه أغلق معمله ويعمل الآن خياطاً على القطعة في الفيصلية بخياطته (الجوادر) كما يسمونها ويقول بعد أن كنت صاحب معمل يعمل معي أكثر من ثمانية عمال أصبحت أنا عاملا أعمل في مهنة أو حرفة لأول مرة أعمل فيها من أجل الحصول على لقمة العيش، لقد تغيرت الحياة الاقتصادية في العراق بعد الاحتلال بعد أن كانت منتوجاتنا الوطنية وبضاعتنا المحلية تزدهر بها أسواقنا إلا أننا اليوم ومن خلال تجوالنا في السوق لم نعثر على أية بضاعة إنتاجها عراقي فنرى أن اقتصادنا العراقي بدأ يستنزف وأموالنا تذهب إلى الدول الأخرى سوى تعرض بضائع رديئة حتى أنها لم تعد بالنفع الصحيح لبلدنا.

خاتمة وتوصيات

يرى الباحثان أن مشكلة أصحاب المهن والحرف الشعبية في أسواقنا جميعها إنما هي جزء يسير من مجمل المأزق السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي يمر به مجتمعنا العراقي وأن أية توصية أو مقترح يحتاج إلى وقفة من قبل الحكومة لتعد إلى مجتمعنا واقتصادنا عافيته ومع كل هذا وذاك إلا أن الباحثين ارتأيا أن يقدما توصيات وضرورات علمية للنظر فيها قد تقضي إلى شيء ولو كان يسيرا لمعالجة هذه المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ومن التوصيات والمقترحات هي:-

1 -إعادة النظر بكل ما هو مستورد ووضع ضوابط جديدة خاصة بالاستيراد وفق القانون.
2 -الارتقاء بالصناعة العراقية وحمايتها ووضع الدعم لأصحاب المعامل والمصانع واعتماد صيغ المنافسة من أجل تطوير الإنتاج وتحديثه.

3 - فرض الرسم الكمر ك ي وفق التفرقة الكمر كي ة المنصوص عليها دوليا على السلع الداخلة للعراق.
4 - إنشاء مراكز محلية لرعاية الحرف والصناعات التقليدية وتكون من بين أهم أولويات هذه المراكز دراسة التراث الحرفي وتسجيله علميا.
5 - إعداد خطة شاملة للحفاظ على جميع الصناعات التقليدية وإحيائها من جديد.

إعطاء قروض ميسرة لأصحاب المعامل والمصانع لإعادة تأهيلهم مرة أخرى.

Handicrafts against Imported Goods Socio anthroplogical Study In Mosul Market

Faiz Mohammed Daoud& [*]Muna Shaker Mohammed Khider [**]

Abstract

Any phenomenon or research problem can be investigated from several angles. Specialists might insist on their own opinions and present a precise scientific description of the part they focus on. Through their unpretentious attempt, the researchers tried to investigate the marketplace and its components economically and socially to present another picture or factor that completes the picture. This study aims at investigating investigate craftsmanships and their existence in Mosul marketplace as none of us is acquainted with the beginnings of the traditional craftsmanships that have been necessary to meet the needs of societies. Thus, such crafts became the constants of our deep-rooted heritage and the treasure of its people, i.e. the treasure that can never be forgotten no matter how many years or days pass. The loftiness of the past is nothing but the deriving and lightening of the present the innovative stages of which were shortened by old craftsmen; and, as everyone knows, the first step of a thousand miles begins with a single step. The transformation of art into a bi-equation combined the old and the new. that was gained by high technicality and skills. Long ago, the Arab land has been known by its manual industries because of the abundance of craftsmen. Till now, there are a lot of people whose living depends on craftsmanship. The traditional industry represents one of the primary factors upon which the economical ambience of hundreds, or perhaps thousands, of families depend in spite of the wane and the reduction of the number of craftsmen nowadays. The originality of the past and its relation to the culture of the present is embodied in the specialization of many deep-rooted societies in such a craftsmanship, especially those societies that have clear originality and which are proud of their heritage and modern history.

[*] Dept. of Sociology/ College of Arts/ University of Mosul.

[**] Dept. of Sociology/ College of Arts/ University of Mosul.